المجلد: 2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الآخرة 1447هـ/ ديسمبر2025م
ص ص: 01-08

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1260

فلسطين في كتابات ابن باديس فلسطين الشهيدة أنموذجا

Palestine in the Writings of Ibn Badis: Martyred Palestine as a Symbolic Mode

فريد بوعمامة، جامعة صالحي أحمد النعامة- الجزائر
bouamama@cuniv-naama.dz

ملخص:

تسعى هذه المداخلة إلى استنطاق مقال ابن باديس الموسوم بـ"فلسطين الشهيدة" واستجلاء حرقة رائد النهضة الجزائرية الحديثة بسبب محاولات الصهاينة اغتصاب الأراضي الفلسطينية وطموحهم إلى الاستحواذ على القدس الشريف، وتعاطفه اللا محدود مع قضية شعب مسلم مقهور لا ذنب له سوى أنه تمسك بعرى دينه وتشبث بثوابت وطنه وقيم أمته. ولا شك أن هذه الحرقة تعبر على شعور كل جزائري حر مسلم غيور على دينه ومهموم بقضايا إخوانه في اللغة والدين ومكلوم بجرح فلسطين الغائر .

كلمات مفتاحية: ابن باديس، فلسطين، الصهاينة، الشهداء، القضية الفلسطينية.

Abstract:

This intervention seeks to examine Ibn Badis's article titled "Palestine the Martyred" and to uncover the deep sorrow felt by the pioneer of the modern Algerian renaissance in response to the Zionist attempts to seize Palestinian lands and their ambition to take control of the Holy City of Jerusalem. It also highlights his unlimited sympathy for the cause of an oppressed Muslim people whose only "fault" was holding firmly to the bonds of their religion and clinging to the constants of their homeland and the values of their nation. There

is no doubt that this sorrow reflects the feelings of every free Algerian Muslim who is protective of his faith, concerned for the causes of his brothers in language and religion, and pained by the enduring wound of Palestine.

Keywords: IbnBadis; Palestine; Zionists; martyrs; Palestinian cause.

1. تمهيد:

يشار بمصطلح القضية الفلسطينية أو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى الخلاف السياسي والتاريخي، والمشكلة الإنسانية في فلسطين بدءاً من عام (1897م) المؤتمر الصهيوني الأول وحتى الوقت الحالي. وهي تعدّ جزءاً جوهرياً من الصراع العربي الإسرائيلي، وما نتج عنه من أزمات وحروب .

ويرتبط هذا النزاع بشكل جذري بنشوء الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، والاستيطان فيها، ودور الدول العظمى في أحداث المنطقة. وما نتج عن ذلك من غطرسة اليهود وارتكابهم للمجازر بحق الفلسطينيين وما ترتب عن هذه الأحداث من عمليات المقاومة ضد الدولة العبرية. ويُعتبر هذا النزاع، من قبل كثير من المحللين والسياسيين القضية المركزية في الصراع العربي الإسرائيلي وسبب أزمة هذه المنطقة وتوترها. بالرغم من أن هذا النزاع يحدث ضمن منطقة جغرافية صغيرة نسبياً، إلا أنه يحظى باهتمام سياسي وإعلامي كبير نظراً لتورّط العديد من الأطراف الدولية فيه وتمركزه في منطقة حساسة من العالم وارتباطه بقضايا إشكالية تشكل ذروة أزمات العالم المعاصر، مثل الصراع بين الشرق والغرب، وعلاقة الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام فيما بينها، وعلاقات العرب مع الغرب وأهمية النفط العربي للدول الغربية، وارتباطها أيضا بقضايا معاداة السامية وقوى ضغط اللوبيات اليهودية في العالم الغربي. على الصعيد العربي يعدّ الكثير من المفكرين والمنظرين العرب وحتى السياسيين أن قضية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي هي القضية والأزمة المركزية في المنطقة وكثيراً ما يربطها بعض المفكرين بقضايا النهضة

العربية وقضايا الأنظمة الشمولية، وضعف الديمقراطية في الوطن العربي.ولذلك فإن القضية الفلسطينية قد أسالت كثيرا من الحبر وشغلت العديد من الأدباء والمفكرين والسياسيين والإعلاميين، وكان بطبيعة الحال شيخنا عبد الحميد بن باديس من هؤلاء الذين هبّوا إلى نصرة فلسطين وسخّر قلمه وفكره لدعم القضية الفلسطينية.

2. دلالة العنوان:

في البداية يستحسن أن نبحث عن الحمولة الدلالية للعنوان الذي اختاره الشيخ ابن باديس لمقالته: فلسطين الشهيدة، للتعرف على أسباب اختيار هذا العنوان، فبخصوص الشق الأول منه فمن الواضح أنه يحيل على قطر عربي في المشرق، وجعل ياقوت الحموي (ت 626 ه) فلسطين ضمن نطاق الشام،إذ يقول:" بالكسر ثم الفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون، والعرب في إعرابها على مذهبين:

منهم من يقول فلسطين ويجعلها بمنزلة ما لا ينصرف ويلزمها الياء في كل حال فيقول هذه فلسطين ورأيت فلسطين ومررت بفلسطين، ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ويجعل إعرابها بالحرف الذي قبل النون فيقول هذه فلسطون ورأيت فلسطين ومررت بفلسطين، بفتح الفاء واللام، كذا ضبطه الأزهري، والنسبة إليه فَلَسْطِيّ، قال الأعشى[1]:

ومثلك خود بادن قد طلبتها	وساعيت معصيّا لدينا وشاتها
متى تسق من أنيابها بعد هجعة	من الليل شربا حين مالت طلاتها
تقله فَلَسْطِيّا إذا ذقت طعمه	على ربذات الّتي حمش لثاتها

وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزّة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمّان ويافا وبيت جبرين..."[2]

وأمّا الشقّ الثاني من العنوان فهو مرتبط بالشهادة. وقد جاء في الصحاح:" الشَهادة: خبَرٌ قاطع. تقول منه: شَهِد الرجل على كذا، وربما قالوا شَهْدَ الرَجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، عن الأخفش. وقولهم: اشهد بكذا، أي احلف والمشاهدة: المعاينة. وشهده شُهوداً:

أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ. وقومٌ شُهودٌ، أي حُضورٌ، وهو في الأصل مصدرٌ، وشُهَّدٌ أيضاً مثل راكع وركع. وشَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، والجمع شهد، مثل صاحب وصحب وسافر وسفر. وبعضهم ينكره. وجمع الشهد شهودا وأشهاد. والشهيد: الشاهد، والجمع الشُهَداءُ. وأَشْهَدْتُهُ على كذا فَشَهِدَ عليه، أي صار شاهِداً عليه..."[3] ومن خلال هذا التعريف اللغوي علمنا أن الشهيد يقترب من حيث معناه بالشاهد أو الحاضر، فالشهيد أصْله من الشهود والحضور، ومنه الشهادة التي تُقابل الغيب؛ يقول تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾[4]. وأما من ناحية الشرع، فيراد به:" من قتله أهل الحرب، أو أهل البغي، أو قطاع الطريق، أو اللصوص في منزله ليلاً أو نهاراً بأي آلة: مثقل أو محدد، أو وجد في المعركة وبه أثر كجرح وكسر وحرق وخروج دم من أذن أو عين، أو قتله مسلم ظلماً عمداً بمحدد، وكان مسلماً مكلفاً طاهراً، ولم يرتث بعد انقضاء الحرب، أي لا يموت عقب الإصابة"[5].وحتى تترسم لدينا الصورة الذهنية للعنوان، وانطلاقا من وعينا بالمنزلة العالية التي رفَع القرآن إليها الشهيد، والمقام الكريم الذي أحلَّه فيه في دار البقاء، يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾[6] .ويقول عز من قائل: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[7]

انطلاقا من كل ما سبق يمكننا أن نقدر بأن اختيار عنوان(فلسطين الشهيدة) ما كان ليكون لو لم يكن ابن باديس يستحضر معاني حضور فلسطين في قلوب العرب والمسلمين واعتقاده أن مجد الأمة ونهوضها لا يكون إلا بوجود هذا القطر ضمن جسد الأمة. وإذا استحضرنا السياق التاريخي لهذا النص الذي كتب قبل النكبة علمنا أن حرقة الشيخ ابن باديس كانت نتيجة لرؤية استشرافية مبنية على اطلاعه على تاريخ اليهود الأسود المليء بالكيد والغدر. هذه الرؤية التي مكّنته من توقع الأسوأ من الصهاينة تجاه الفلسطينيين. ومن جهة أخرى فإن العنوان يوحي بكل معاني الألم والوقيعة والغدر التي مني بها الشعب الفلسطيني المكلوم نتيجة تواطؤ الاستدمار الإنجليزي وتحامل اليهود عليه. فليس هناك ما يؤدي هذه المعاني غير هذا العنوان الذي وفق في اختياره الشيخ ابن باديس.

3. أهم المضامين:

يفتتح ابن باديس مقاله موضحا أن رحاب المسجد الأقصى في قدسيته يماثل رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، منبّها إلى أهمية المكان عند العرب والمسلمين، ومذكّرا ببركة هذا المسجد، فيقول:" رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله في المسجد الأقصى في سورة الإسراء: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾[8] ليعرفنا بفضل تلك الرحاب. فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة ".[9]

ثم ينتقل إلى الحديث عن الاستدمار الإنجليزي الذي ابتليت به المنطقة والذي كان السبب الرئيس لنكبة فلسطين سنة 1948م بعد أن سلم الانجليز فلسطين لليهود. هؤلاء الذين لم يراعوا في الشعب الفلسطيني المسلم إلا ولا ذمة، وهذا دأبهم على مر العصور وكر الدهور، ولم يحفظوا العهود وأنساهم الطمع والجشع وحب الدنيا جميل المسلمين الذين عاشوا في حماهم معزّزين مكرّمين لعهود ممتدّة في التاريخ.[10]

إن الأوصاف المشينة التي نعت به اليهود و ذكره لجرائمهم النكراء في حق الفلسطينيين لم تمنعه من أن يكون منصفا مع القوم، وذلك أن عبارته استثنى منها بعضا من اليهود الذين لم ينجرّوا إلى دعوات الصهاينة الحاقدين على الإسلام وأهله، ومنهم اليهود السامريين، ونستشفّ ذلك من قوله: " نقول، لقسم كبير من اليهود، لأن هنالك من اليهود عددا كثيرا يستنكر هذا المأتى الجنوني الظلوم، ويعترف بجميل الإسلام والسعادة التي نعم بها اليهود ويهود القدس في ظله الوارف الأمين "،[11] ويضيف :" فقد قدم رئيس الطائفة السامرية إلى حاكم نابلس عريضة احتج فيها باسم الطائفة على الاعتداءات الأثيمة التي وقعت على العرب في القدس وحيفا ويافا هذا نصها:

"نحن أفراد الطائفة السامرية رجالا ونساء نستنكر بشدة أعمال الاعتداءات الفظيعة التي يقوم بها أشخاص من اليهود ضد قوم أبرياء في حيفا ويافا والقدس، ونطلب بشدة الحيلولة دون تكرار هذه الحوادث المروعة ونصرّح بأننا- على أقليتنا- نعيش منذ ألوف السنين مع مواطنينا العرب في سلام، ولم يحدث أن اعتدى منهم أحد علينا أو حاول اضطهادنا".[12]

وهذا إنّما يدلّ على أنّ اليهود ليسوا كلّهم سواء في تصرفاتهم،إذ منهم أصحاب الضمائر اليقظة مثل هؤلاء السامرية- وإن كان عددهم قليل- الذين يرفضون -إلى يوم الناس هذا- الإجرام في حق الفلسطينيين.

ثم نراه يحمّل مسؤولية فلسطين،التي وقعت بين أنياب الاستدمار الإنكليزي والصهيونية، كلّ المسلمين بلا استثناء، يقول:" وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك، من أرواح تزهق وصغار تيتم ونساء ترمل وأموال تهلك وديار تخرب وحرمات تنتهك، كما لو كان ذلك كله واقعاً بمكة أو بالمدينة، إن لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع".[13]

ثم يمضي شيخنا في وصف حال اليهود في أيامه حيث كانوا اضطهادا من الأمم المسيحية ولا سيما من ألمانيا التي شردتهم واضطردتهم قوانينها إلى بيع ممتلكاتهم. هذا وقد أوضح الشيخ أن تعاليمنا الإسلامية تفرض علينا أن نتعاطف مع المظلوم مهما كان وأن شريعتنا ترفض أن يتسبب أحد منا في الظلم والاضطهاد، وتبعا لذلك فإن هؤلاء اليهود الذين سُلِّطوا على إخواننا الفلسطينيين قد عاشوا في ظل الإسلام في أريحية. ولكنهم تناسوا الماضي وهم يتربصون بفلسطين الدوائر.[14]

وبعد ذلك كله ينتقل الشيخ ابن باديس للحديث على مساعي بعض الوزراء العرب ومحاولتهم الدفاع عن فلسطين في المؤتمرات الدولية مثمنا هذه المساعي ومبرزا أهمية النضال السياسي والديبلوماسي الذي "

ستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطاني أنها أمام العالم الإسلامي والعربي لا أمام فلسطين... ".[15]

4. تعليق على خاتمة المقال:

اختتم ابن باديس هذا المقال بقوله تعالى: ﴿ **وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[16] وبالعودة إلى التفاسير نعلم أن في الآية تحذير للمؤمنين من فتنة لا تصيب الذين ظلموا فقط.

ولا شك أن ابن باديس يرى الفتنة كل الفتنة في استهانة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأمر فلسطين، وفي التخلف عن الدفاع عن القدس الشريف والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

5. خاتمة:

وبعد هذه القراءة المتواضعة يمكننا القول بأن "فلسطين الشهيدة" تعدّ بحقّ سجلّا لمعاناة الشعب الفلسطيني خلال الفترة الممتدة من 1921 إلى 1938. وقد ضمّنها الشيخ ابن باديس صرخة مدوّية دقّ من خلالها ناقوس الخطر، ويدعو فيها كل غيور للدفاع عن فلسطين.

وقد أبان الشيخ ابن باديس في هذا المقال على قدرة فائقة في فهم ما يدور في الساحة الدولية من أحداث، ولم تخدعه خطابات الزعماء الغربيين المفعمة بالخداع والمكر والنفاق.

كما أظهر الشيخ أيضا وعيه القومي وشعوره بالحالة التي يعيشها الأشقاء في فلسطين السليبة. هذا الشعور الذي ينبئ بأن الأمة ما زالت بخير ، جاء في صحيح الترمذي: عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».[17]

6. الهوامش والإحالات:

[1]- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس الأعشى، تح: م محمد حسين، المكتبة النموذجية، مصر، د.ط، د.ت، ص 83.

[2]- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت 626 هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان، ط 02، 1995م، ج4، ص274.

[3]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت-لبنان،ط 1407،04هـ-1987 م، مادة (شهد).

[4]- الأنعام،الآية:73.

[5]- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر ، سوريَّة – دمشق، ط 04، د.ت ، ج 2، ص1583.

[6]- محمد،الآيات:04-06.

[7]- آل عمران،الآية:169.

[8]- سورة الإسراء،الآية:01

[9]- آثار ابن باديس، عمار الطالبي ،الشركة الجزائرية – الجزائر الطبعة الأولى، 1388 هـ - 1968 م، ج3 ، ص 413.

[10]- المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[11]- المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[12]- المصدر السابق:413/3-414.

[13]- المصدر السابق:414/3.

[14]- ينظر: آثار ابن باديس، عمار الطالبي:415/3.

[15]- نفسه:416/3.

[16]- الانفال،الآية:25.

[17]- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1996 م:باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، رقم الحديث:1928.